

المحاضرة الحادية عشرة
البايولوجية النفسية التطورية
الأساس البايولوجي للاخلاق

التطبيقات المعاصرة (عقول العصر الحجري في عالم حديث):

١- تحيز الأقارب في القرارات الأخلاقية: معضلة العربة

تجربة "عربة القطار" الأخلاقية تختبر كيف نتوازن بين المنطق المجرد والعواطف الغريزية.

السيناريو الكلاسيكي: عربة مسرعة ستدهس ٥ أشخاص. يمكنك تحويلها إلى مسار ثانٍ حيث ستدهس شخصاً واحداً. ماذا تفعل؟

النسخة التطورية: ماذا لو كان الشخص الواحد على المسار الثاني هو ابنك، والخمسة على المسار الرئيسي غرباء؟

التحليل المنطقي: $٥ < ١$.

الاستجابة الغريزية: حماية نسخ جيناتك أولاً. الاستجابة العاطفية للتضحية بقريب تكون شديدة لدرجة تعطيل الحساب المنطقي البارد.

تفسير الدماغ:

• الخمسة الغرباء: يُعالجون كـ"مفهوم مجرد" أو رقم تنشط مناطق التفكير المجرد.

• القريب الواحد: يُعالج كـ"فرد ملموس" له هوية. تنشط اللوزة الدماغية (مركز العاطفة) والقشرة الحزامية الأمامية (مركز التعاطف والصراع الأخلاقي) بقوة.

• المسؤولية المباشرة: فعل إيذاء مباشر (دفع الشخص) يثير ردة فعل غريزية أقوى من السماح بضرر غير مباشر.

هذا يوضح أن أخلاقنا ليست فلسفة مجردة، بل هي مشاعر تطورت لحماية المصالح الجينية في بيئة كانت فيها الدوائر الاجتماعية صغيرة ومعروفة.

٢- تحيز الأقارب في الحياة الواقعية

تظهر هذه الميول في سلوكيات يومية:

- الوصايا والميراث: تُوزع بشكل ساحق على الأقارب البيولوجيين، وبنسب تتطابق غالباً مع درجة القرابة.
- التبرع بالأعضاء: الاحتمال أعلى بكثير عندما يكون المتلقي قريباً مباشراً.
- الدعم العاطفي والمادي: نقدمه بسهولة أكبر لأفراد العائلة.

التفسير البيولوجيا العصبية للقرار الأخلاقي (معضلة العربة)

الصراع في الدماغ: العاطفة مقابل المنطق:

عندما تواجه معضلة العربة (٥ غرباء مقابل قريب)، يحدث في دماغك حرب عصبية يمكن تتبعها بالتصوير الوظيفي.

القرار المطروح الدائرة العصبية المنشطة التفسير الكيميائي العصبي

التضحية بغريب لإنقاذ قريب

- القشرة أمام الجبهية البطنية الإنسية: تنشط (مشاعر تعاطف انتقائي).
 - اللوزة الدماغية: هادئة نسبياً. إشارات الأوكسيتوسين تثبط استجابة اللوزة للخوف من "القتل"، بينما ترفع الدوبامين مكافأة "إنقاذ القريب". لا صراع حقيقي.
- التضحية بقريب لإنقاذ ٥ غرباء

- القشرة أمام الجبهية الظهرانية الوحشية: تحاول فرض المنطق (٥ < ١).
- اللوزة الدماغية والقشرة الحزامية الأمامية: تنشط بشدة (ألم عاطفي، صراع). اللوزة المنشطة تطلق إشارات إجهاد (كورتيزول). القشرة الحزامية الأمامية، الغنية بمستقبلات الأوكسيتوسين، تخلق إحساساً مؤلماً بالصراع بين الغريزة (حماية الجينات) والمنطق.

تحيز "القرب الجسدي": لماذا يبدو الشخص في العربة أقرب نفسيًا؟
-الخدعة الإدراكية: الشخص الواحد في العربة يُجسد (يراه الدماغ ككيان ملموس)،
بينما الخمسة البعيدين يُجردون (يصبحون رقمًا).
-الآلية: التجسيد ينشط دائرة التعاطف (القشرة الحزامية الأمامية، التلفيف المجاور
للحصين) بقوة أكبر. التجريد ينشط دائرة الحساب المجرد (التلفيف الجبهي
الأوسط). الأول أقوى أحيانًا لأنه مرتبط ببقاء النوع.

الخاتمة والانتقادات: حدود المنظور التطوري

علم النفس التطوري لا يختزل الإنسان إلى عبد للجينات. هو إطار تفسيري قوي
لكثير من الميول الأساسية، لكن له حدود:

- **الطبيعة والتنشئة:** يؤكد على التفاعل المعقد بين الميول الفطرية والتأثير الثقافي الهائل. الثقافة يمكنها تضخيم، تثبيط، أو توجيه هذه الميول.
- **مشكلة "القصص التخمينية":** بعض الفرضيات يصعب اختبارها تجريبيًا، خاصة تلك المتعلقة بـ"بيئة التكيف التطورية" غير المعروفة بالتفصيل.
- **المرونة البشرية:** لدينا قدرة هائلة على التعلم، والتعاطف مع غير الأقارب، وخلق قيم أخلاقية تتجاوز القرابة البيولوجية (مثل التبني، والإيثار للغرباء، والقوانين العالمية).